

دور محو الأمية وتعليم الكبار في تحقيق التنمية المستدام

سعد طباري¹

الملخص:

تتميز مجتمعات الدول المتخلفة والتي تنتمي إليها الجزائر عن غيرها من مجتمعات العالم بانتشار الأمية في وسطها، وذلك بنسب مرتفعة جداً. والمتتبع لهذه الدول يجد انه على الرغم ما بذلته من وقت وجهد ومال للقيام بعملية التنمية فإنه يلاحظ: أن هناك عدد محدود من هذه الدول استطاعت الخروج من الدائرة المغلقة للتخلف، وهناك دول أخرى قليلة حققت نتائج محدودة، وكان الإخفاق مصير أغلبية الدول الأخرى. ويرجع عدم نجاح عمليات التنمية لأسباب عديدة نذكر منها استنفال ظاهرة الأمية وضعف عملية تعليم الكبار. أن من ضمن مبادئ التنمية المستدامة هو تحسين نوعية الحياة البشرية، فالنمو الاقتصادي هو عنصر هام من عناصر التنمية ولكنه لا يمكن أن يكون هدفا في حد ذاته، بل يجب أن تشمل التنمية: الصحة والتعليم، والوصول إلى مستوى معيشي لائق، والحرية السياسية، وضمان حقوق الإنسان. وأن انتشار الأمية الأبجدية والحضارية وضعف عملية تعليم الكبار كل هذا يقف معرقلا للعملية التنموية التي يصبو لها المجتمع، فالأمية طاقة شبه عاطلة، فهو يؤثر سلباً على الإنتاجية العامة للقوة العاملة فيضعفها. وأن هناك علاقة طردية بين الأمية والمرض والفقر، وأن الأمية تشكل متغيراً مستقلاً، فيما يشكل كل من المرض والفقر متغير تابع. وهذا ما يفسر اجتماعهم الدائم في المجتمع الواحد، فأين توجد الأمية وجد المرض والفقر وبالتالي التخلف. لذا لن يكون هناك تنمية حقيقية وفعالة إلا أولاً بمحو الأمية وتعليم الكبار بمختلف أنواعها.

الكلمات المفتاحية:

التنمية المستدامة، تعليم الكبار، الأمية الأبجدية، الأمية الحضارية، الجزائر

— 1 —

¹ أستاذ مساعد بالمدرسة الوطنية العليا للإحصاء و الاقتصاد التطبيقي

مقدمة:

تتميز مجتمعات الدول المتخلفة والتي تنتمي إليها الجزائر عن غيرها من مجتمعات العالم بانتشار الأمية في وسطها، وذلك بنسب مرتفعة جداً نتيجة لسياسة المستدمر (المستعمر)، الذي تبنى نشر الأمية في وسط هذه الشعوب من أجل أن يتمكن من تكريس احتلاله لها.

ولكن بعد ان وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها بدأت تلك الشعوب المقهورة على أمرها تستفيق من سبات نومها العميق، لتطالب بحقها في الاستقلال وبالفعل تمكنت تلك الشعوب بعد كفاح طويل وشاق من نيل حريتها السياسية. بعد ذلك شعرت تلك الدول المستقلة حديثاً بمدى حجم ونوعية الإرث الذي تركته لها الدول المستدمرة (المستعمرة)، وذلك على جميع الأصعدة، فما كان من هذه الدول المستقلة إلا أن سعت لتغيير هذا الإرث الثقيل وذلك عن طريق حصر إمكانياتها المادية والبشرية وتوجيهها نحو التنمية.

والمنتفع لهذه الدول يجد انه على الرغم ما بذلته من وقت وجهد ومال للقيام بعملية التنمية فإنه يلاحظ: أن هناك عدد محدود من هذه الدول استطاعت الخروج من الدائرة المغلقة للتخلف مثل: الصين وماليزيا، وهناك دول أخرى قليلة حققت نتائج محدودة مثل مصر والجزائر، وأخفقت أغلبية الدول الأخرى مثل اليمن وبنجلادش.

ويرجع عدم نجاح عمليات التنمية لأسباب عديدة نذكر منها: الفساد المستشري بين من بيده الأمر، الصراعات الداخلية والخارجية، استفحال ظاهرة الأمية وضعف عملية التكوين المتواصل أو المستمر أو التعليم مدى الحياة والذي يسمى اصطلاحاً "بتعليم الكبار"، والمنتفع للأمر يجد بأن موضوع تعليم الكبار

لم يعطى الأهمية اللازمة من طرف المسؤولين والباحثين، لذا يهدف هذا المقال إلى أن يساهم في تبيان دور محو الأمية وتعليم الكبار في تحقيق التنمية المستدامة، لنقوم بعد ذلك بالإسقاط على المجتمع الجزائري.

ومن أجل معالجة هذا الموضوع نرى أن نتطرق إلى المحاور التالية :

— ماهية التنمية المستدامة والى ماذا تهدف ؟

— ماذا يقصد بتعليم الكبار ؟

— ما اثر تعليم الكبار على التنمية المستدامة ؟

— الأمية والتنمية في الجزائر

أولاً: ماهية التنمية المستدامة وإلى ماذا تهدف:

نقسم هذا المحور إلى نقطتين: نتطرق في النقطة الأولى إلى ماهية التنمية المستدامة، أما النقطة الثانية فتتطرق فيها إلى أهداف هذه التنمية.

1- ماهية التنمية المستدامة:

1 - 1 - تعريف التنمية المستدامة: برز مصطلح "التنمية المستدامة"² عندما انعقد في جوان 1992م في مدينة "ريو دي جانيرو" بالبرازيل مؤتمر "قمة الأرض"، برعاية الأمم المتحدة للبيئة والتنمية، ومنذ ذلك الحين انتشر هذا المصطلح في أدبيات اقتصاد التنمية.

وتُعرف التنمية المستدامة بأنها "عملية التنمية التي تلبي أماننا وحاجات الحاضر دون تعريض قدرة أجيال المستقبل على تلبية حاجاتهم للخطر"³.

1 - 2 - مبادئ التنمية المستدامة: وهناك مبادئ أربعة يجب أخذها بعين الاعتبار لتحقيق التنمية المستدامة على الصعيد الفردي والمحلي والدولي، وهذه المبادئ هي:

- تنمية عادلة، أي لا تكون تنمية جماعة على حساب جماعات أخرى أو على حساب الأجيال اللاحقة.

- تحسين نوعية الحياة البشرية، فالنمو الاقتصادي هو عنصر هام من عناصر التنمية ولكنه لا يمكن أن يكون هدفاً في حد ذاته، بل يجب أن تشمل التنمية: الصحة والتعليم، والوصول إلى مستوى معيشي لائق، والحرية السياسية، وضمان حقوق الإنسان، والتحرر من العنف... الخ.

² - استخدم مصطلح "التنمية المستدامة" لأول مرة استخداماً اقتصادياً صرفاً، وكان يقصد به نمو الأعمال الاقتصادية بشكل متواصل مستمر. ثم تطور المصطلح ببطء ليقصد به المحافظة على البيئة والنمو الاقتصادي معاً، ولكن الجميع احتفظوا بتعريفاتهم الخاصة له. وفي عام 1987 قدمت اللجنة العالمية للبيئة والتنمية تقريرها النهائي للجمعية العامة للأمم المتحدة تتضمن تعريفاً للتنمية المستدامة. للمزيد انظر: سي دو ك لي، وفيكتور س. لي: ترجمة، بهاء شاهين - ما بعد ريو دي جانيرو، التحدي البيئي الجديد - مبادئ التنمية المستدامة - ط1 - الدار الدولية للاستثمارات الثقافية - القاهرة - 2000، ص87

³ - س. لي كامبل، ولتر و. هيك: ترجمة، بهاء شاهين - رؤية بيئية حول التنمية المستدامة - ط1 - الدار الدولية للاستثمارات الثقافية - القاهرة - 2000، ص63

- الحفاظ على حيوية الأرض وتنوعها، وكذلك المحافظة على الموارد المتجددة مثل التربة والكائنات البرية والداجنة، والغابات...الخ.
- التقليل من استنزاف الموارد غير المتجددة مثل: النفط والغاز والفحم.⁴ 3 — سمات التنمية المستدامة: تتمثل هذه السمات في ما يلي:
 - ✓ إن التنمية المستدامة تختلف عن التنمية، في كونها أشد تداخلا وأكثر تعقيدا خاصة في المجال الطبيعي والمجال الاجتماعي.
 - ✓ التنمية المستدامة تتوجه أساسا لتلبية احتياجات الطبقة الفقيرة ومن هنا يمكننا القول إنها تسعى للحد من الفقر.
 - ✓ التنمية المستدامة تحرص على تطوير الجوانب الثقافية مع المحافظة على الحضارة الخاصة بكل مجتمع.
 - ✓ إن عناصر التنمية المستدامة لا يمكن الفصل بينها، وهذا لشدة تداخل الأبعاد والعناصر الكمية والنوعية لها.⁵

2 — أهداف التنمية المستدامة:

للتنمية المستدامة أهداف عدة نذكر منها:

- 2 — 1 — تهدف إلى تنمية الإنسان وبيئته وثقافته وتطوير أوضاعه الاجتماعية، من حيث كونه وسيلة للتنمية وهدفها وغايتها، وذلك عن طريق:
 - تحقيق الرخاء الاقتصادي لكافة أفراد المجتمع، أي تهدف إلى رفع مستوى المعيشة وتحسينه بانتظام مع مراعاة العدالة في توزيع عائد التنمية.
 - توفير فرص العمل لأفراد المجتمع، ويكون هذا بتوفير العمل المناسب لكافة العاملين، وتدريبهم لاكتساب المهارات اللازمة لمختلف الأنشطة.

⁴ — Steven C. Rockefeller. San Jose: "Earth Charter Project"، Principles of Sustainable Development - "Development" April 1996
www.iisd.org

⁵ سالمى رشيد: أثر تلوث البيئة في التنمية الاقتصادية في الجزائر - أطروحة دكتوراه في العلوم الاقتصادية فرع التسيير - كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير - جامعة الجزائر - 2005 - 2006 - ص104

— توفير الرعاية الصحية والتعليمية والثقافية.

2 — 2 — التوسع في الإنتاج وتطويره، ويكون هذا بالعمل على استيعاب التكنولوجيا الحديثة الملائمة، وتطويرها لاستغلالها استغلالاً أمثلاً في العملية التنموية، ليس هذا فحسب بل كذلك الدخول في عملية الإبداع التكنولوجي.

2 — 3 — الاستخدام الأمثل للموارد المادية والمالية، تسعى التنمية المستدامة إلى الاستخدام الرشيد للموارد المادية والمالية، وتوزيعهما بما يتفق ومتطلبات التنمية والاحتياجات الاجتماعية للمجتمع.

" لذا فإن من متطلبات الاستخدام الرشيد لموارد المجتمع وثروته:

— السيطرة التامة على الموارد، وتخصيصها حسب أولويات التنمية.

— رفع نسبة الاستغلال للثروات العاطلة غير المستخدمة، وتوزيع منافعها على جميع أفراد المجتمع ومراعاة حقوق الأجيال اللاحقة.⁶

2 — 4 — التنمية المتوازنة، تهدف التنمية المستدامة إلى تحقيق التوازن والانسجام في تنمية مختلف النواحي الحياتية، وفي مختلف مناطق البلد الواحد.

ثانياً: ماذا يقصد بتعليم الكبار:

نقسم هذا المحور إلى نقطتين: نتطرق في النقطة الأولى إلى تعريف تعليم الكبار ومن هم، أما في النقطة الثانية فنتطرق فيها إلى لمحة تاريخية عن حركة تعليم الكبار وأهدافها.

1 — تعريف تعليم الكبار ومن هم:

1 — 1 — تعريف تعليم الكبار: يقصد بتعليم الكبار بصفة عامة، تعليم من هم ليسوا في سن التعليم النظامي العادي، لذا فهو يتم خارج المدرسة وتراعى فيه ظروف الكبار ومستوياتهم العقلية وقدراتهم الخاصة. ولو انه قد يتم في نفس مبناها، ولكن في غير أوقات الدراسة النظامية، كما أنه قد يتم أثناء العمل أو في المساء، وقد يتم في الأماكن العامة أو الخاصة. ويبدأ هذا التعليم بعد السن المحدد للالتحاق بمدارس التعليم الإلزامي حتى نهاية الأجل إن أمكن. ويتم هذا التعليم

⁶ صالح صالح: المنهج التنموي البديل في الاقتصاد الإسلامي - دار الفجر للنشر والتوزيع -

بصورة منتظمة ومستمرة وتتولاها هيئة أو جماعة تشرف عليه، ويهدف هذا التعليم إلى تزويد الدارس بمعلومات منظمة وخبرات أو مهارات نظرية أو عملية مقصود بها تنمية شخصيته ومهاراته.

1 – 2 – فئات الكبار: الكبار هم عادة فئات الناس الذين لا يستطيعون الالتحاق بمدارس الصغار لكبر سنهم أو لانخفاض مستواهم التعليمي عن المستوى المقرر لمثل سنهم، أو من تضطربهم ظروفهم المعيشية إلى ترك الدراسة للعمل. كما يدخل في زمرة الكبار أيضا أولئك الذين يرغبون في تنمية قدراتهم في مجال عملهم، أو من يرغبون في التعرف على مجالات أخرى خلاف مجالات تخصصهم حتى لو كانوا من أصحاب المؤهلات العليا. وبناءً عليه يمكن حصر فئات الكبار كما يلي:

- ✓ فئة لم يتمكنوا من الالتحاق بالتعليم منذ البداية، وتدعى بفئة الأميين.
- ✓ فئة من التحقوا فعلا بالتعليم ولكنهم تسربوا منه دون استكمال الدراسة التي التحقوا بها. وقد يكون منهم من ارتدوا إلى الأمية لأسباب مختلفة.
- ✓ فئة من اكملوا تعليمهم لمرحلة أو أكثر ولم يستطيعوا استكمال تعليمهم.
- ✓ فئة من اكملوا تعليمهم في مستوى قدراتهم التحصيلية ولكنهم يرغبون في التزود بخبرات أكبر في نفس مجال تخصصهم أو في مجال آخر.⁷

2 – لمحة تاريخية عن حركة تعليم الكبار وأهدافها:

2 – 1 – لمحة تاريخية عن حركة تعليم الكبار: بدأت أول حركة لتعليم الكبار في العالم في سنة 1844 عندما أسس الكاتب نيكولاي فردريك غرونديغ أول مدرسة شعبية في مدينة نوردنغ في مملكة الدنمارك لتعليم الكبار، وأخذ يثقف الفلاحين ثقافة قومية ووطنية وعلمية وزراعية واقتصادية.⁸

وفي عام 1930 صدر قانون لتنظيم هذه الدراسات المسائية وقدمت لها الحكومة المساعدات المالية دون تدخل الحكومة في شؤونها الفنية.

⁷ الديوان الوطني لمحو الأمية وتعليم الكبار: وثائق مختلفة. الجزائر العاصمة

⁸ - مدونة معهد ستوكهولم العربية: مدارس الشعب نوع تمتاز به الدول الإسكندنافية -

وفي عام 1968 صدر قانون تنظيم التعليم في أوقات الفراغ، ومنذ ذلك الحين أخذت كثير من الدول عن الدنمارك هذه الحركة وطورتها بما يلائم وطبيعة هذه الدول.

2 — 2 — أهداف تعليم الكبار: لتعليم الكبار أهداف عديدة نذكر أهمها كما يلي:

- ✓ تعليم الفرد مهارات القراءة والكتابة والحساب، أي محو أميتهم.
- ✓ أن تكون هذه المهارات وسيلة لتطوير عمله ومهنته.
- ✓ أن تكون هذه المهارات وسيلة لتطوير حياته الاجتماعية والثقافية.
- ✓ أن يكون قادراً على أداء واجباته العامة تجاه المجتمع وممارسة حقوق المواطنة والتزاماتها.
- ✓ تمكنه من مواصلة تعليمه وتطوير مهاراته واستثمارها في بناء المجتمع.⁹

2 — 3 — دعائم تعليم الكبار: يركز تعليم الكبار على أربعة دعائم وهي:

— التعلم للمعرفة: بالجمع بين ثقافة عامة واسعة بدرجة كافية وبين إمكانية البحث المعمق في عدد محدود من المواد.

— التعلم للعمل: لا حصوله على تأهيل مهني فحسب، إنما لاكتساب كفاءة تؤهله بشكل أعم لمواجهة مواقف عديدة وللعمل الجماعي.

— التعلم للعيش مع الآخرين: بتنمية فهم الآخر وإدراك أوجه التكافل في ظل احترام التعددية والتفاهم والسلام.

— تعلم المرء ليكون: منفذ الشخصية على نحو أفضل، وإن يتصرف باستقلالية والحكم على الأمور والمسؤولية الشخصية.¹⁰

2 — 4 — تعريف الأمية: في هذا البحث نأخذ عنصر الأمية ومكافحتها كمثال لدراسة موضوع تعليم الكبار لأنها تعتبر حجر الزاوية في مسار عملية تعليم الكبار هذا من جهة أولى، ومن جهة ثانية لتوفر بيانات رقمية حولها، ولضخامتها من جهة ثالثة.

الأمية نوعان، الأمية الأبجدية والأمية الحضارية، وهما كما يلي:

- الأمية الأبجدية: هي عدم الإلمام بمهارتي القراءة والكتابة في أي لغة من اللغات المكتوبة والمقروءة.

⁹الديوان الوطني لمحو الأمية وتعليم الكبار: وثائق مختلفة. الجزائر العاصمة

¹⁰ محمد بن عبدالله الزامل: محاضرة "التعليم للجميع" - جامعة الملك سعود - المملكة العربية السعودية دون تاريخ

وهي ظاهرة اجتماعية قديمة قدم المعرفة وقدم الإنسان. حيث ان الأمية هي الأصل، قبل اختراع الكتابة، حتى بعد اختراعها لم تكن الأمية مشكلة، ولم تعد كذلك، إلا في سياق الحياة المعاصرة نتيجة للتطورات والثورات السياسية والاجتماعية والعلمية والتكنولوجية التي أثرت على مختلف جوانب الحياة تأثيراً نوعياً وعميقاً.¹¹

ولم يتفق على تعريف واحد للشخص الأمي من قبل خبراء التربية على المستوى العالمي، فمنهم من يعرفه بأنه الشخص الذي لا يعرف القراءة والكتابة، ومنهم من يعرفه بأنه الشخص الذي لم يكمل مرحلة التعليم الابتدائي¹²، ومنهم من يعرفه بأنه الشخص الذي لم يصل في القراءة والكتابة إلى المستوى الوظيفي، وهو ذلك المستوى الذي يسمح لهبربط القراءة والكتابة والحساب بالتدريج على المهارات المهنية الأساسية التي ترتبط ارتباطاً مباشراً بالحاجات المهنية له.¹³ ويعرف الشخص الأمي في الجزائر: كل من تجاوز عمره سن 10 سنوات ولا توجد لديه المهارات الأساسية للتعلم التي تمكنه من القراءة والكتابة والحساب، ولم يكن منتظماً في المدرسة الابتدائية. ويلاحظ ان سن الأمي في هذا التعريف حدد بـ 10 سنوات، لان الطفل قبل هذا السن مازال أمامه فرصة للالتحاق بالمدرسة.¹⁴

● الأمية الحضارية: لقد أدى التطور في مجال العلم والتكنولوجيا إلى بروز مفهوم جديد يتجاوز مصطلح الأمية الأبجدية، وهو الأمية الحضارية، ويقصد به عدم مقدرة الأشخاص المتعلمين على مواكبة معطيات العصر العلمية والتكنولوجية والفكرية والثقافية والتفاعل معها. ويمكن تقسيم الأمية الحضارية إلى الأمية التكنولوجية والأمية العلمية والأمية الثقافية.... إلخ. وبهذا يتضح ان مفهوم محو الأمية مفهوماً ضيقاً، أما تعليم الكبار فهو مفهوم واسع ومتنوع، إلا أنهما مفهومان متداخلان، من حيث دوافعهما ووظائفهما وأساليبهما، وان اختلفا درجة

¹¹ محي الدين صابر: دراسات حول قضايا التنمية وتعليم الكبار — الجهاز العربي لمحو الأمية وتعليم الكبار — القاهرة — 1975 — ص 34

¹² تركي رابح: مشكلة الأمية في الجزائر — مكتبة الشعب — الجزائر — ص 45

¹³ عبد العزيز البسام: محو الأمية الحضاري، المفهوم الحضاري للأمية — المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الجهاز العربي لمحو الأمية — بغداد — 1985 — ص 68

¹⁴ تركي رابح: مشكلة الأمية في الجزائر — مرجع سبق ذكره — ص 45

وتتوعا. وبصفة عامة يمكن رد الميدانيين إلى مجال الأمية في البلاد المتخلفة، فمحو الأمية يتصدى للأمية الأبجدية، وتعليم الكبار يتصدى للأمية الحضارية.¹⁵

خلاصة القول: إن الأمية الأبجدية أمية مركبة، تشتمل بالضرورة على الأمية الحضارية، ويجب أن لا تقرأ نسبتها قراءة تربوية بسيطة، كأعداد من يقرأون ويكتبون، بل قراءة حضارية حيث أن نسبة الأمية في مجتمعنا، تشير إلى التخلف الحضاري في مختلف الجوانب السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية... إلخ.

ثالثاً: اثر تعليم الكبار على التنمية المستدامة:

بدأ الاهتمام بدراسة اثر التعليم بصفة عامة وتعليم الكبار بصفة خاصة على التنمية في النصف الأول من القرن المنصرم، وكان من ابرز المهتمين، الاقتصادي الروسي ستروملين Strumilin الذي أظهر العلاقة بين مستوى تعليم القوة العاملة وإنتاجيتها، وكذلك العلاقة بين تكاليف التعليم ومردوده. فقد قام سنة 1924 بدراسة أسفرت عن أن تفرغ العامل الأمي للدراسة لمدة عام واكتسابه أسس ومفاتيح المعرفة ساهم في زيادة إنتاجه الصناعي بمقدار 30%¹⁶. وفي الستينيات اتسع الاهتمام باقتصاديات التربية والتعليم على أيدي عدد كبير من الاقتصاديين الأوروبيين والأمريكيين، مما أدى في النهاية إلى ظهور فرع جديد في العلوم الاقتصادية يطلق عليه "اقتصاديات التعليم"، هذا العلم الذي يبحث في الجوانب الاقتصادية للعملية التعليمية، والتي تشمل ايضاً على تعليم الكبار موضوع الدراسة.

وخير دليل على ارتباط التعليم بمختلف أشكاله بالتنمية نجد كمثال: اليابان وألمانيا اللتان خرجتا من الحرب العالمية الثانية بهزيمة طاحنة تلك الحرب التي دمرت البنية التحتية لهما، وقد اتخذتا التعليم كوسيلة لإحداث التنمية، وكان من نتيجة ذلك أن وصلا إلى مصاف الدول الأعلى تقدماً اقتصادياً وعلمياً في العالم.

¹⁵ محي الدين صابر: دراسات حول قضايا التنمية وتعليم الكبار — مرجع سابق ص 32

¹⁶ — عبدالعزيز بن عبدالله بن سعد السنيبل: تمويل برامج محو الأمية وتعليم الكبار في بعض الدول العربية: دراسة ميدانية دراسة مقبولة للنشر في مجلة " العلوم التربوية والدراسات الإسلامية الصادرة عن كلية التربية بجامعة الملك سعود .

= خطاب قبول النشر بتاريخ 1425/12/1 هـ . — ص 23، نقلاً عن: عبد الله السيد عبد الجواد الوظائف الاقتصادية والاجتماعية للتربية والتخطيط لإنجاحها — مكتبة الطالب الجامعي — مكة المكرمة — 1988، ص 23

وقد أجريت دراسة لإظهار العلاقة بين التعليم والنمو الاقتصادي في الولايات المتحدة الأمريكية للفترتين (1909-1929)، (1929-1957) تبين من خلالها أن نحو 10% من النمو الاقتصادي في الفترة الأولى، وأن نحو 21% من النمو الحاصل في الفترة الثانية يرجعان إلى تحسن مستوى التعليم سواء في زيادة عدد سنوات الدراسة أو زيادة أيام الدراسة. وهناك دراسة أخرى مماثلة في أوروبا للسنوات (1950 - 1962)، تبين أن من 5% إلى 15% من النمو الاقتصادي يرجع إلى تأثير التعليم.¹⁷

وأكدت دراسات قام بها البنك الدولي أن الإنتاج الزراعي للفلاح الذي تلقى تعليماً يعادل أربع سنوات من التعليم الابتدائي يزيد من إنتاجيته بمقدار 26% في اليونان و22% في البرازيل، و20% في ماليزيا.¹⁸

ومن ناحية أخرى نجد أن انتشار الأمية في أي مجتمع، يعني بالضرورة تخلف هذا المجتمع عن النمط الحضاري السائد، وأن هناك علاقة جدلية بين الأمية والتخلف الحضاري لأي دولة من الدول، فكل منهما يتأثر ويؤثر إيجابياً في الآخر، فالناظر إلى خريطة العالم يكتشف أن أينما وجدت الأمية وجد التخلف، وبفس الحدة، ولنا مثال على ذلك: اليمن وبنغلادش والسودان وغيرهم كثيرون. وأن الدول التي استطاعت أن تتخلص من عبء الأمية بنوعها الأبجدية والحضارية استطاعت أن تخرج من دائرة التخلف، ومثال على ذلك: نجد الصين وكوريا وماليزيا.

أي أن المشكلة ليست مشكلة تعليمية بقدر ما هي مشكلة حضارية بكل أبعادها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية... الخ.

فالأمي طاقة شبه عاطلة، فهو يؤثر سلباً على الإنتاجية العامة للقوة العاملة فيضعفها، لذا نجد أن من أهم ما تتميز به الدول المتخلفة هو ضعف إنتاجيتها، أما فيما يخص ضعف عملية تعليم الكبار فنجد أن هذا الضعف يمثل مصدراً للأمية الحضارية، فالتطور السريع في وسائل الإنتاج وفي المعلوماتية والاتصال يجعل تجديد المعرفة والمهارة وتغييرها وتنوعها ومعاصرتها أمراً لا مفر منه، كل هذا لا يتأتى إلا عن طريق التوسع وتطوير ما يسمى "بتعليم الكبار". فبعد أن كانت

¹⁷ — أنطوان رحمة: اقتصاديات التعليم — مقال منشور على الموقع www.arab-ency.com تاريخ الاطلاع 2013/4/1

¹⁸ — عبد العزيز بن عبد الله بن سعد السنبلي: تمويل برامج محو الأمية وتعليم الكبار — مرجع سبق ذكره

المعرفة تتنامى بمتوالية حسابية خلال القرون السابقة حتى القرن التاسع عشر، أصبحت بعد ذلك تتنامى بمتوالية هندسية، فتضاعف كل خمسة عشرة سنة، ثم كل عشر سنوات، بل إنها الآن تتضاعف على فترات اقصر من ذلك، إذ اشتمل القرن العشرون وحده على أكثر من 90% من العلماء الذين عرفتهم البشرية على مر العصور.¹⁹

مما سبق يتضح أن نجاح برامج التنمية المستدامة مرهون بنجاح برامج التنمية البشرية، وهذا بدوره يتوقف على نجاح برامج محو الأمية الأبجدية والحضارية، وهذا ما يمكن أن نسميه " تعليم الكبار من أجل التنمية المستدامة ".

رابعاً: الأمية و التنمية في الجزائر:

نقسم هذا المحور إلى ثلاثة نقاط: نتطرق في النقطة الأولى إلى لمحة تاريخية عن وضعية الأمية في الجزائر، أما في النقطة الثانية فنتطرق فيها إلى الوضعية الحالية لمحو الأمية في الجزائر، وفي النقطة الأخيرة أثر الأمية في التنمية في الجزائر.

1 - لمحة تاريخية عن وضعية الأمية في الجزائر:

قبل دخول الاحتلال الفرنسي إلى الأراضي الجزائرية سنة 1830 كانت نسبة الأمية فيها تقدر ب 14%، وعبر عن ذلك الرحالة الألماني "فيلهلم شمبيرا" حين زار الجزائر في شهر ديسمبر 1831، حيث يقول: "لقد بحثت قصداً عن عربي واحد في الجزائر يجهل القراءة والكتابة، غير أنني لم أعثر عليه، في حين أنني وجدت ذلك في بلدان جنوب أوروبا، فقلما يصادف المرء هناك من يستطيع القراءة من بين أفراد الشعب..."

وخلال حقبة الاحتلال والتي تميزت بسياسة التجهيل المبرمج للشعب الجزائري أصبحت نسبة الأميين من الجزائريين بعد قرن من الاحتلال 92.2% بين من تتراوح أعمارهم من 5 إلى 18 سنة²⁰، وفي سنة 1948 وصلت الأمية إلى 94%، وفي سنة 1955 إلى 92%.²¹

أما غداة الاستقلال سنة 1962 فقد بلغت نسبة الأمية في الجزائر 85%، وسجل أول إحصاء سنة 1966 حيث بلغت نسبة الأمية 74,6%، وفي الإحصاء الثاني سنة 1977 سجل

¹⁹- عبد العزيز البسام: محو الأمية الحضاري- مرجع سبق ذكره - ص 41

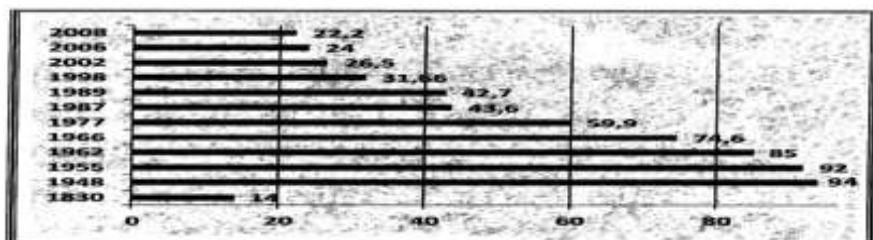
²⁰- شبكة النبا المعلوماتية www.annabaa.org تاريخ الاطلاع 2012/12/7

²¹ - عناصر لاستراتيجية وطنية لمحو الأمية - الديوان الوطني لمحو الأمية - وزارة التربية الوطنية

نسبة أمية تقدر بـ 61٪، تلتها إحصاء ثالث سنة 1987 سجل نسبة الأمية فيه 43.60٪، أما الإحصاء الرابع سنة 1998 فقد انخفضت الأمية إلى نسبة 31.90٪²²، وفي سنة 2002 شهدت هذه النسبة انخفاض وصل إلى 26.5٪. وفي آخر إحصاء عام للسكان سنة 2008 انخفضت الأمية إلى نسبة 22.2٪²³.

مما سبق يتضح بانه تم تخفيض 52.4 نقطة خلال 42 سنة بداية من أول إحصاء سنة 1966 إلى آخر إحصاء سنة 2008، أي بمتوسط 1.25 نقطة في السنة، وبالتالي يمكن أن نستنتج بانه يمكن القضاء على الأمية في الجزائر في منتصف العقد الثالث من هذا القرن. والرسم بياني التالي رقم (1) يوضح نسبة الأمية في الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي لها إلى سنة 2008، وهو يوضح بشكل جلي انتشار التعليم في الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي، وكذلك انتشار الأمية بشكل متفشي في اوساط الجزائريين بعد مرور اكثر بقليل من قرن من الاحتلال الفرنسي لها، والانخفاض التدريجي للضعيف لنسبة الأمية في الجزائر منذ الاستقلال إلى الوقت الراهن.

رسم بياني رقم (1) يوضح نسبة الأمية في الجزائر



المصدر: الديوان الوطني لمحو الأمية وتعليم الكبار — الجزائر العاصمة

2 - الوضعية الحالية لمحو الأمية في الجزائر:

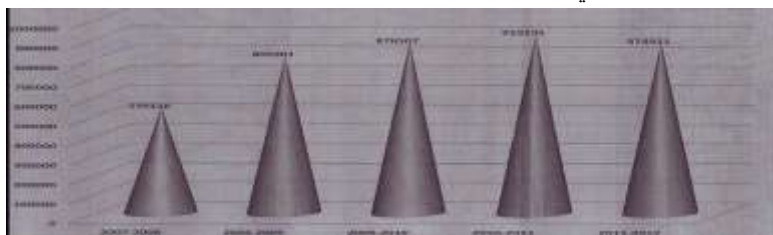
في 2004/1/8 أعلن وزير التربية الوطنية الجزائري عن الإعداد لإستراتيجية وطنية لمحو الأمية، بداية من العام الدراسي 2007/ 2008 (ولا يسع المجال هنا إلى الدخول في تفاصيل هذه الاستراتيجية)، وتهدف هذه الاستراتيجية إلى تقليص نسبة الأمية في الجزائر إلى النصف مع أفاق سنة 2015. وأخذت الدولة على عاتقها بمساعدة المجتمع المدني بتوفير الإمكانيات المادية والمالية والبشرية لإنجاح هذه الإستراتيجية.

²² — شبكة النبا المعلوماتية — مرجع سبق ذكره

²³ — الديوان الوطني لمحو الأمية وتعليم الكبار: وثائق مختلفة — الجزائر العاصمة

والرسم البياني رقم (2) يوضح تطور عدد الدارسين في فصول محو الأمية من بداية تنفيذ الإستراتيجية الوطنية، علماً بأن عدد الدارسين في فصول محو الأمية في سنة 2006/2007 أي قبل انطلاق الإستراتيجية الوطنية بلغ 187048 دارس، أي أن عدد الدارسين في بداية تنفيذ الإستراتيجية أصبح 300% مقارنة بالسنة السابقة لها

الرسم البياني رقم (2) يوضح تطور عدد الدارسين في فصول محو الأمية من بداية تنفيذ الإستراتيجية الوطنية في الجزائر



المصدر: الديوان الوطني لمحو الأمية وتعليم الكبار — الجزائر العاصمة

3 — أثر الأمية في التنمية في الجزائر:

على ضوء ما تم عرضه، يمكننا أن نشير إلى أن محو الأمية ما هو إلا مفتاح لباب الثقافة والمعرفة، بحيث تمد الانسان الأمي بالأدوات الأولية لتطوير معارفه وتهذيبها، التي عن طريقها يدخل معترك الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية كعضو فعال بعد أن كان على هامش تلك الحياة.

فعلى الصعيد الاقتصادي، ومن أجل تنمية مستدامة حقيقية يجب توفر أمرين أساسيين

هما:

- ✓ توافر وتضافر الإمكانيات المادية في المجتمع.
- ✓ توفير اليد العاملة المؤهلة التي تقوم باستغلال تلك الموارد استغلالاً امثلاً لصالح عملية التنمية.

وعندما نطبق هذين الأمرين على الواقع الجزائري نجد أن الأمر الأول متوفر في الجزائر، حيث نجدها غنية بموارد طبيعية من محروقات لمعادن مختلفة لسهوب خصبة... الخ، أما الأمر الثاني فنجد عكس ذلك حيث أن تلك اليد العاملة الجزائرية مازالت تعاني من انتشار الأمية في وسطها. فكيف يتسنى لهذه اليد المشلولة أن تقوم بدفع عجلة التنمية، وهذا ما ساهم بالفعل (مع عوامل أخرى) إلى عرقلة عجلة التنمية في شتى القطاعات الاقتصادية.

الخاتمة:

على ضوء ما سبق نجد أن من ضمن مبادئ التنمية المستدامة هو تحسين نوعية الحياة البشرية، فالنمو الاقتصادي هو عنصر هام من عناصر التنمية ولكنه لا يمكن أن يكون هدفا في حد ذاته، بل يجب أن تشمل التنمية: الصحة والتعليم، والوصول إلى مستوى معيشي لائق، والحرية السياسية، وضمان حقوق الإنسان، أي من ضمن ما تهدف إليه التنمية المستدامة هي تنمية الإنسان وبيئته وثقافته وتطوير أوضاعه الاجتماعية، من حيث كونه وسيلة للتنمية وهدفها وغايتها.

وإن انتشار الأمية الأبجدية والحضارية وضعف عملية تعليم الكبار كل هذا يقف معرقلا للعملية التنموية التي يصبو لها المجتمع، فالأمية طاقة شبه عاطلة، فهو يؤثر سلباً على الإنتاجية العامة للقوة العاملة فيضعفها، لذا نجد أن من أهم ما تتميز به الدول المتخلفة هو ضعف إنتاجيتها. وقد أكد على ذلك العديد من خبراء الاقتصاد والتعليم حيث اثبتوا أن هناك ترابط قوي بين المسارين فهناك علاقة عكسية قوية بين مستوى الأمية بنوعيهما الأبجدية والحضارية وبين التنمية المستدامة.

وكذلك يمكن أن نقول أن ارتفاع نسبة الأمية يؤثر سلباً على المستوى العام لصحة المجتمع، الذي يؤثر بدوره على العملية التنموية برمتها. ونفس الشيء نلاحظه فيما يخص العلاقة بين ارتفاع نسبة الأمية ومستوى الفقر، فهناك علاقة طردية بينهما.

مما سبق يمكن القول أن هناك علاقة طردية بين الأمية والمرض والفقر، وأن الأمية تشكل متغيراً مستقلاً، أما المرض والفقر فيشكل كل منهما متغيراً تابعاً.

وهذا ما يفسر اجتماعهم الدائم في المجتمع الواحد، فأين توجد الأمية وجد المرض والفقر وبالتالي التخلف.

لذا لن يكون هناك تنمية حقيقية وفعالة إلا أولاً بمحو الأمية وتعليم الكبار بمختلف أنواعها، فمثل ما أشرنا إليه من قبل أن محو الأمية ما هو إلا مفتاح لباب الثقافة والمعرفة، بحيث تمد الإنسان الأمي بالأدوات الأولية لتطوير معارفه وتهذيبها، التي عن طريقها يدخل معترك الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية كعضو فعال بعد أن كان على هامش تلك الحياة.

المراجع:

- 1- تركي رابح: مشكلة الأمية في الجزائر — مكتبة الشعب — الجزائر — دون تاريخ
- 2 — الديوان الوطني لمحو الأمية — عناصر لاستراتيجية وطنية لمحو الأمية — وزارة التربية الوطنية — الجزائر — ديسمبر 2006
- 3 — الديوان الوطني لمحو الأمية وتعليم الكبار، وثائق مختلفة — الجزائر العاصمة
- 4 — سالم رشيد: أثر تلوث البيئة في التنمية الاقتصادية في الجزائر — أطروحة دكتوراه في العلوم الاقتصادية فرع التسيير — كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير — جامعة الجزائر — 2005 — 2006
- 5- س. لي كامبل، ولترو. هيكت: ترجمة، بهاء شاهين — رؤية بيئية حول التنمية المستدامة — مبادئ التنمية المستدامة — ط1 — الدار الدولية للاستثمارات الثقافية — القاهرة — 2000
- 6 سسي دوك لي، وفكتور س. لي: ترجمة، بهاء شاهين — ما بعد ريو دي جانيرو، التحدي البيئي الجديد — مبادئ التنمية المستدامة — ط1 — الدار الدولية للاستثمارات الثقافية — القاهرة — 2000
- 7 — صالح صالح: المنهج التنموي البديل في الاقتصاد الإسلامي — دار الفجر للنشر والتوزيع — القاهرة — 2006
- 8 — عبد العزيز البسام: محو الأمية الحضاري، المفهوم الحضاري للأمية — المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الجهاز العربي لمحو الأمية وتعليم الكبار — بغداد — 1985
- 9 — عبدالعزيز بن عبدالله بن سعد السنبلي: تمويل برامج محو الأمية وتعليم الكبار في بعض الدول العربية: دراسة ميدانية دراسة مقبولة للنشر في مجلة " العلوم التربوية والدراسات الإسلامية الصادرة عن كلية التربية بجامعة الملك سعود . خطاب قبول النشر بتاريخ 1425/12/1 هـ
- 10- محمد بن عبدالله الزامل: محاضرة "التعليم للجميع" — جامعة الملك سعود — المملكة العربية السعودية — دون تاريخ
- 11- محي الدين صابر: دراسات حول قضايا التنمية وتعليم الكبار — الجهاز العربي لمحو الأمية وتعليم الكبار — القاهرة — 1975
- 12- أنطوان رحمة: اقتصاديات التعليم — مقال منشور على الموقع www.arab-ency.com، تاريخ الاطلاع 2013/4/1
- 13- شبكة النبا المعلوماتية www.annabaa.org تاريخ الاطلاع 2012/12/7
- 14- مدونة معهد ستوكهولم العربية — مدارس الشعب نوع تمتاز به الدول الإسكندنافية — Arabic.mkfc.se تاريخ الاطلاع 2013/02/26